
كُنتُ أميراً
للأستاذ
محمد عبد المحسن آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحیم

كنت اميريا

كاتب:

محمد عبد المحسن آل الشيخ

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

کنت امیریا

اشارة

نام کتاب: کنت امیریا

نویسنده: محمد عبد المحسن آل الشیخ

موضوع: اعتقادات و پاسخ به شبهات

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: نشر مشعر

مکان چاپ: تهران

نوبت چاپ: ۱

ص: ۱

اشاره

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

مقدّمة الناشر

الحمـد لله ربّ العـالمين، والصـلاة والسـلام على سيّد الأنبياء والمرسـلين، المبعوث رحمـةً للعالمين محمّـد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه العاملين بهديه،

وبعـد فهـذا كتاب قيّم يحتوى قصّـة رجل هـداه الله، بعـد ما عاش فترة مظلمـةً من شـبابه بعيـداً عن الحقّ، سائراً فی جهالات الدجّالين، يتبختر على الناس، مدّعياً العلم والالتزام بالقرآن، واتّباع السـنّة، ومتشـبّهاً فی شكله وزيّه بمن يسمّيهم السلف، مستهيناً بالآخرين، مكفّراً لهم، زاعماً بُطلان عقائد المسلمين، وأعمال المؤمنين ...

ص: ۶

ثمّ أنعم الله عليه بالهدايـة إلى الحقّ الواضـح، بنور الإيمان؛ لأنّه تنبّه بما جرى له، وشاء وطلب من الله الهدايـة: وَاللهُ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم.

ثمّ كتب هذا الكتاب يحكى ما جرى له قبل وبعد، عسى أن يُنيرَ الدرب للآخرين من أمثاله المغرّرين بتلك الدعاوى الفارغة.

ولأنّ الحكايـة شائقـة مثيرة، وفيها موعظـة بليغة لأبناء المسـلمين الناشـئين، ولغيرهم، ليزدادوا إيماناً بالحقّ الذى هم عليه، وليبتعدوا عن دعاوى الزيف، ويتركوا التزييف لعقائد الامّة الإسلامية باسم السلف الصالح الذى هو برىءٌ من تلك الدعاوى.

أقـدمنا على تقديمه، إبلاغاً للرسالة التى نحسّها على عاتقنا فى دعوة المسـلمين وإرشادهم، لكى يعرفوا الحقّ ويسـتنيروا بنوره فيتّبعوه، وليعرفوا طرق الغواية والزيغ والضلال فيتجنّبوها.

ص: ۷

والله الهادی هو حسبنا ونعم الوکیل. وصلّی الله علی سیّدنا رسول الله وعلی آله وصحبه المؤمنین أجمعین.

الناشر

ص: ۸

[كنت أميريا]

قبل أن أبـدأ الكتابـة، اسـتوقفنى الأمر، خوفاً من أن أُتّهم بالدخول فى عمل سياسـىّ، وأنا لستُ إلّا طبيباً للأطفال، فتردّدت كثيراً، لكنّى عزمتُ على الكتابـة، لأنّى أتوقّع أن يكون بعض الناس على نفس الخطّ الـذى كنتُ أسـير عليه، وفى نفس الحالة التى عشـتها، ليقرأ ما جرى لى، ويعتبر، ويتجاوز المآزق والعقبات والخرافات والبدع، ويعبر من الظلمات إلى النور، ويتوقّى مزالق الإرهاب والشرور.

والذى يُريحنى أنّى عملتُ بواجب فرضه الرسول علىَّ بقوله:

«كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته

».

ص: ۹

ولقـد كنتُ من أشـدّ الملتزمين بتعظيم الامـراء والحكّام للبلاد الإسـلاميّة: معتبراً إيّاهم «الأئمّـة (الـذين أوجب الله ورسوله طاعتهم على الامّة وأنّهم ظلّ الله تعالى في الأرض على العباد، ووسيلة السعادة في المعاش والمعاد.

مقدّساً لكلّ حاكم تقديسي للرسول والخلفاء وللصحابة.

ذاكراً لهم بكلّ تعظيم وتكريم واحترام.

وباذلًا جهدي في نشر هذه الفكرة بين الشباب والأصحاب والأقارب وحتّى الأباعد.

كمـا إنّ موقفي من المخـالفين كان شديـداً جـدّاً، فكنتُ أعتبر مَن يعترض على الولاة والحكّام زنـديقاً خارجيّاً، يريـد الكيـد للإسـلام والدين، والامّة وكيانها.

حتّى كانت الحادثة التالية في ليلة من ليالي الشتاء، حينما فزعت أنا وزوجتي، من النوم على أثر صوت

ص: ۱۰

رهيب، كأنّه اصطدام سيّارة بباب البيت، ثمّ تلاه ضوضاء وصخب، خارج المنزل.

أزحت الستارة من الشبّاك فرأيتُ رجلين يترنّحان ويعربدان، والغريب جدّاً أنّهما كانا عاريين تماماً، فذُهلنا- أنا وزوجتى-، ولم نَرَ فى الشارع أحداً غيرهما. ولم يخرج أحدٌ من داره إلّا رجلا واحداً، من الجيران، كنتُ أعرفه من خلال المدرسة زميلًا فى الصفّ، لكنّى أكرهه وأبتعد منه، لكونه شيعياً، رافضيّاً!

وبالرغم من السنين الطوال التى كان يعيشها معنا فى حارة واحدة، وشارع واحد، فإنّى لم أجد له فى قلبى موضعاً، فهو يُخالفنى فى العقيدة والسيرة: أنا سلفيٌّ وهّابيٌّ، وهو شيعيٌّ رافضيّ، وأنا أميريٌّ متعصّبٌ، وهو شعوبيٌّ خارجيٌّ.

لم أرَ فى الشارع، تلك الليلة خارجاً من الدار إلّا

ص: ۱۱

ذلك الرجل الذى يحمل اسم عبد (ربّ) الحسين!

مع أنّ الجيران كلّهم قد أفاقوا على أصوات الاصطدام والعربدة والصياح.

وبعد مُدّةٍ: جاءت سيّارة النجدة، فخرج الناس، وخرجتُ أنا، إلى الشارع، فوجدتُ ذلك الرجل الوحيد الذى كان يتكلّم مع الشرطة، ويقول:

ما هذا الوضع المزرى؟

هؤلاء الأجانب يسرحون ويمرحون فى وطننا الإسلامى، وعلى أرضنا الطاهرة، وبهذا الشكل المزرى المخجل: عراةً، سكارى، يزعجون الناس؟.

ونظرتُ، فإذا الشخصان العاريان هما من جنود الاحتلال الأمريكى.

ورأيتُ بامّ عينى قنانى الخمر فى سيّارتهما.

وهما كما قلتُ «عراة تماماً، وبكلّ وقاحة يحتضن أحدهما الآخر.

ص: ۱۲

وخرج بعض الجيران إلى الشارع، وفوراً، أخذتهما الشرطة، وهدأ الشارع.

ولكن ذلك الشيعیّ- عبد (ربّ) الحسين- بقى المتكلّم الوحيد، يخطب فى وسط ذلك الجوّ يقول:

إنّ هذا ا لذى حدث هو واحدٌ من مآسى الحكم الفاسد، الذى يتقلّده الامراء الفاسدون، الجهلة!.

يقولها بكلّ حماس، وبكلّ جدّ وجُرْأة، وأمام كلّ المجتمعين، وفى تلك الحالة الغريبة!.

أفزعنى هجومه على الحكم والحاكم، وهو ولىُّ الأمر!

وظلّت كلماته هذه فى ذلك الجوّ الرهيب ترنّ فى اذنى وتثقل على قلبى كان يقول:

«إنّكم غافلون!

إنّ الحاكم إذا كان فاسداً سوف يجرّ المجتمع إلى الفساد، لأنّ الناس على دين ملوكهم.

ص: ۱۳

إنّ الحاكم الفاسد، يمثّلكم في الدنيا، ويتولّى على رقابكم وأموالكم وأعراضكم.

وهو سوف يقدمكم يوم القيامة، ويمثّلكم هناك، كما يمثّلكم في الدنيا في المجتمعات والمواقف!.

وكما يجرّ عليكم هنا الويلات، فإنّه هناك في الآخرة يسوق بكم إلى النار، كما قال الله تعالى: ... فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ* يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ* وَأُتْبِعُوا فِى هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (هود: ۱۱/ ۹۷- ۹۹).

رجعتُ إلى البيت، وسألتني الزوجة: ماذا كان الحادث؟.

فأجبتها: ناس أجانب!.

قالت: أمريكان!.

قلت- وأنا مَلآنٌ غضباً-: نعم!.

ص: ۱۴

عرفت الزوجة فی وجهی ونبرات صوتی، الانزعاج، ولکنّی حاولت أن أخفی عنها، فلم احدّثها بکلّ ما رأیتُ وسمعتُ.

ولکنّها سألت: ومن کان ذلک المتکلّم؟ وماذا کان یقول؟.

علمتُ أنّها کانت تری من الشبّاک ما کان فی الشارع، ولکنّها هل سمعت کلّ ما کان هناک من حدیث وخطاب؟!

لم أرد أن اخبرها بخطاب ذلک الجار، لأنّه یحتوی علی ما أعتقده «کفراً و خروجاً عن الإسلام، ولا ارید أن اشوّه عقیدتها.

وبتُّ تلک اللیلة قلقاً، ولم أطق النوم، کانَ شیءٌ ثقیلٌ یجثم فوق صدری، یهیّج أحاسیسی ومشاعری، حاولتُ- من غیر جدوی- الخروج من تحت ثقله، والتفلّت من قیوده، لم أتمکّن.

ص: ١٥

هل ما قاله هذا الرجل صحيح ومعقول؟

فأنا- إذَن- وجماعتى السلفيّة الأميريّون، فى ضلالة طوال هذه الأعوام من أعمارنا؟!

أم إنّ هذا الجار الشيعىّ، هو فعلًا خارجىّ يريدُ إثارة الناس، ودعوتهم للفتنة!

فأنا أعتقد: أنّ الحاكم هو «ولىُّ الأمر الذى أمر الله بطاعته، فى قوله: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِى الْامْرِ مِنْكُمْ.

فلا يمكن أن نخرج من طاعة الأمير، لمجرّد سهو، أو غفلة منه، أو من أجل عمل يقوم به الأمريكان فى البلاد.

ثمّ إنّ دعوة الرجل الجار الشيعىّ تجعلنى فى مواجهة المشايخ كلّهم، وفى مواجهة المباحث والاستخبارات والدخول فى السياسة، التى لاتعنينى إطلاقاً، ولا اريد أن أدخل هذا المأزق الحرج المتعب، ولا اريد أن اواجه

ص: ۱۶

ولىّ الأمر، فأكون بالتالى خارجاً من جماعة المسلمين، وشاذّاً «ومن شذّ فهو فى النار» كما فى حديث صحيح يحتوى على هذا النصّ.

ولقد كان، يشعل فؤادى لهباً، أن أجدنى على شفا النار، تبعاً للحاكم، إذا كان ما يقوله هذا الرجل حقّاً، فنحن على باطل.

وقلتُ: إنّ أقوى وسيلة هو الهجوم.

واستعددت لقراءة ما كتبه مشايخنا عن طاعة الولاة والامراء والحكّام، وحفظتُ- عن ظهر قلب- الآيات والأحاديث وكلمات العلماء، ونصوص العقيدة الواسطيّة، والصحيحة،

واطّلعتُ على قصص الخوارج والمآسى التى جرّتها قضايا الخروج على الحكّام فى طول التاريخ، بعد فشلها.

***

ص: ۱۷

وفى صباح يوم عيد الأضحى المبارك خرجتُ من الدار فإذا بجار لى من أهل السنّة يدعى أبا خالد، عانقته وباركت له العيد، ودعوت له بالقبول والبركة والسلامة، ولعياله، بالرغم من أنّه غير ملتزم، حليق اللحية، وبناته وزوجته غير محجّبات.

لكنّى احاول أن اعاملهم بالخُلُق الحسن، لأنّ السنّة تأمرنا بمداراة الجار، ولا يزال النبى (صلى الله عليه وسلم) يوصى بالجار.

وفجأة ظهر ذلك الرجل الشيعىّ عبد (ربّ) الحسين، واتّجه إلينا، وعانق صاحبى بحرارة، وهنّأه بالعيد وتبادلا التهانى والمعايدة.

ثمّ مدّ إلىّ يده، فمددتها إليه قصيرةً، وبكلّ برود، ولكنّه تلقّفها بقوّة وحرارة، وحاول أن يعانقنى، فسحبت نفسى إلى الوراء، وكلّ ذلك وهو يبارك لى العيد، ويُهنّئُنى، ويدعو لى.

ص: ۱۸

لكنّى لم أردّ عليه ولا بكلمة واحدة!

والرجل لم يترك دعاءه، ولم ترتفع البسمة من شفتيه، حتّى ودّع، ومضى لشأنه.

وهنا لاحظتُ العجب على وجه صاحبى (أبى خالد) السنّى، فإذا هو يقول لى:

ما هذه المعاملة الخشنة مع هذا الرجل الجار؟

لماذا لم تسمح له أن يعانقك؟

لماذا لم تهنّئه بالعيد، وهو قد هنّأك؟

لماذا لم تردّ عليه السلام، وهو قد سلّم عليك؟

قلت له– وأنا منفعل–: إنّه رجلٌ شيعىٌّ من أهل البدعة، يجب أن نحذر منه، ونبتعد عنه ولا نخالطه! لئلّا نفتتن به وبفتنته.

فقال لى: أبهذا أمرك الإسلام؟

أليس القرآن يقول: وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا؟

ص: ١٩

وهل هذه طريقة الدعوة إلى الله؟

وهل هذه الموعظة الحسنة التى أمر الله بها؟

وهل هذه الحكمة فى مواجهة الناس ومعاملتهم؟ حتّى غير المسلمين.

فضلًا عن هذا، فهو يُعلن الإسلام ويصلّى ويصوم مثلنا؟

ثمّ إنّا نعيش معه، ولم نَرَ منه إلّا الحَسَنَ الجميل فى المنطق والفعل، والتعامل.

فما هى البدعة التى رأيتها منه؟

قلتُ: هل نسيتَ كلامه تلك الليلة ضدّ الحكومة وضدّ الأمير؟ إنّه يريد إثارة الفتنة! إنّه خارجىّ!

فقال لى- وهو يضحك-: مهلًا، لا تحكم على الناس بهذه الأحكام القاسية!

مَن خوّلك صلاحيّة الحكم على الناس هكذا؟

وهل أنت على يقين من صحّة عقائدك وأقوالك

ص: ۲۰

وسيرتك؟!

مَن أعطاك هذه الولاية على الناس حتّى تحكم على الرجل بأنّه خارجىّ؟

إنّ الرجل يعيش بيننا منذ الطفولة فلم نَرَ منه غير الأدب الجمّ، والأخلاق الحسنة، والإنصاف، والخدمة، والمروءة، والالتزام بالأعراف الطيّبة. وهو وطنىّ متحمّس، وكريم، وقد رأيتَ اليوم أدبه وحسن خُلُقه.

وأمّا ما تقول عنه فى تلك الليلة: فقد رأيتَ شجاعته وجُرْأته، فى مقابل ما فعله الأمريكان، وأمام الشرطة، حيث كان المتكلّم الوحيد، وقد كَمَّ الجُبْن أفواهنا جميعاً.

وأراكَ اليوم تتكلّم بطلاقة، ولكنّك تلك الليلة كنت «أخرس»!

لماذا لم تقل هناك شيئاً ولم تنهَ عن المنكر الذى رأيتَه: أمريكان، سكارى، عراة، ألم ترهم؟

ص: ٢١

لماذا لم تتكلّم عليهم؟

وأنت تتهجَّمَ هُنا اليومَ على هذا الرجل المسكين الذى يحيّينا بتحيّة الإسلام، ويبارك لنا عيد المسلمين!.

وقفت أنظر إلى صاحبى، وأسمعه، مذهولًا، وكانت كلماته كافيةً لأنْ اغيّر نظرتى تجاه ذلك الرجل الشيعىّ، أو على الأقل أندمُ من مواجهتى الصلفة، ومعاملتى الخشنة معه.

ولكنّ غرورى منعنى من الاستسلام للواقع المرّ، و «الحقّ مرٌّ» كما يقولون.

والتعصّب للمذهب والولاء للآباء وأنا من بيت الشيخ، صدّنى عن اتّباع العقل والتراجع عن التزمّت والمكابرة.

كيف أتنازل عن ثقافة تربّيت عليها فى البيت والمدرسة والمسجد، ولا أزال فى بيئة سلفيّة تركّزها فى نفسى وعقلى ودمى.

ص: ۲۲

بينما هى قد تكون مغلوطة خاطئةً باطلةً، ولكنّى التزمتها وفهمتها على أنّها حقيقة، وكلّ ما سواها باطل فاسد!.

تركنى صاحبى وحدى، وقفتُ لدقائق، ثمّ بدأتُ أمشى.

***

وغداً ذهبتُ إلى العمل لكنّى لم أبق هناك كالمعتاد، بل رجعتُ مبكّراً بساعتين، ولمّا دخلتُ المنزل ارتميتُ على الفراش، وجاءتنى الزوجة سائلة: ما بك؟ لماذا جئت مبكّراً؟.

قلتُ لها: إنّى متعبٌ، منهك.

قالت: لماذا؟ ماذا عملت؟ ما حدث؟.

لم أكن مرهقاً جسميّاً، لكنّى كنتُ مرتبكاً نفسيّاً وعقلياً ووجداناً وعاطفة!.

لماذا لم يكن لى موقفٌ تجاه ما رأيتُ من الأمريكان

ص: ۲۳

تلك الليلة؟ وأنا أدّعى أنى من أهل السّنة؟

وهل السّنة والسلفيّة تدعونى إلى السكوت فى مثل ذلك الموقف؟

وهل ما قاله الجار الشيعى تلك الليلة له نصيبٌ من الصحّة؟.

وهل معاملتى له يوم العيد كان صحيحاً إسلاميّاً؟.

وهل كلام الجار السنّى حقّ؟. وأنا قد قصّرتُ فى حقّ شرعىّ أنسانىّ؟

وهل لى الحقّ فى الحكم على الناس بهذه القسوة؟.

أسئلة تبقى فى ذهنى بلا جواب، وتجول ولا تستقرّ، ولا تدعنى أن أستقرّ وأهدأ.

والزوجة إلى جانبى تلحّ علىّ: ما بك؟ قل لى، لعلّى أتمكّن من عمل شىء؟

فلم أجد بُدّاً من مصارحتها، فقلتُ لها:

إنّمشكلتى ليست جسميّة، إنّها ثقافيّة عقليّة فكريّة.

ص: ۲۴

قالت: ما هى؟

قلتُ: بدأت المشكلةُ من تلك الليلة التى فعل الأمريكان فيها ما تعرفين، ومن خطاب ذلك الرجل الجار الشيعى.

وتحدّثت لها بما جرى يوم العيد مع الجار الشيعىّ، وبحضور السنّى أبو خالد، وكلامه حول الشيعى، وعتبه علىّ ما فعلت.

قلتُ لها: إنّ جميع ذلك يؤرّقنى ويقلقنى، فماذا أفعل؟ وما هو موقفى؟ و واجبى؟.

قالت بابتسامة: إنّى سألتُك تلك الليلة عمّا قال الرجل؟ فلم تجبنى، وأنا عارفة لماذا لم تجبنى؟ لأنّك لاتريد أن تعيد كلامه، الذى تعتبره باطلًا مخالفاً لعقيدة السلفيّة فى تكريم الملوك و تقديس الامراء، و وجوب طاعتهم.

لكنّى أنا كنتُ واقفةً عند الشباك، وقد سمعت جميع ما دار هناك، وما قاله الرجل.

ص: ۲۵

أنا- كما تعلم- مثقّفة وملتزمة- بحمد الله- ولكنّ ما قاله الرجل لا يبعدُ عن الحق والحقيقة.

وأنا بحكم الجوار متّصلة بزوجته وهى سنّية ملتزمة، وأنا أتحدّث معها حول سيرة زوجها الشيعىّ فى البيت وعمله، فلم تنقل عنه ما يظهر منه الاتّهام بالرفض والخارجيّة والفساد.

بل تقول زوجته: هو ملتزم بقراءة القرآن وأحكام الدين وأعمال الخير والأخلاق الحسنة والدعاء للمسلمين والدعوة للإسلام، طبعاً فى إطار مذهبه الشيعى المنتسب إلى أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وليس من الصحيح أن نعامل الجار- مهما كان دينه ومذهبه- بالقسوة والفظاظة والتهجّم!

فله حقّ المواطنة، وحقّ الجوار، وحقّ الدين، وحقّ الإنسانيّة.

ص: ۲۶

فماذ يضرّك، وأنت مثقّف، متديّن، وعارف بالسلفيّة، أن تلتقى به، لأمرين:

الأوّل: أن تستميح منه العفو على ما صدر منك تجاهه من تقصير يؤنّب ضميرك.

والثانى: أن تسمع ما يقول وتشرح له ما تعتقد أنت، لعلّه هو يهتدى إلى الحقّ بكلامك، وفى هذا إتمام للحجّة.

كان كلامها كأنّه مرهمٌ على جرحى، وبلسم لدائى، وسكينة على نفسى.

ارتاح ضميرى لهذا الكلام، وهدأت أعصابى ونشطت، ولم أحسّ بقلق.

وفى هـذه الأثنـاء فوجئت بطارق يـدقّ جرس الباب، فإذا هو جارى السـنّى أبوخالـد، جاء ليزورنى، ولمّا جلس، قال: إنّى فكّرتُ فى ما جرى بينك وبين عبدالحسين.

ص: ٢٧

فقاطعتُه: عبد (ربّ) الحسين.

واستمرّ أبوخالد فى الحديث: فرأيتُ من الأفضل أن أتدخّل بينكما وأجمعكما لكى ترتفع الضغينة، وترجع المياه إلى مجاريها، فإنّ البغضاء تورث الحقد والنقمة، بينما الالفة تجلب الرحمة والبركة.

ثمّ إنّ اللقاء بين الأحبّة يؤدّى إلى التفاهم والمعرفة التامّة بحقائق الامور.

ولسنا- بحمد الله- أعداء، فإذا لم نكن على رأى واحد، فلنكن عارفين بآراء الآخرين، لعلّنا نزداد به علماً ومعرفة بامور اخرى، أو نزداد بصيرة بما عندنا من الحقّ.

وإنّ من الإنصاف أن يعتقدَ المرءُ أن رأيه صوابٌ يحتمل الخطأ ورأى خصمه خطأ يحتمل الصواب.

والأهم: لعلّ الله يهديه على يدك فتكون ممَن قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): «لئن يهدى الله بك

ص: ۲۸

رجلا خيرٌ لک من حمر النَعَم».

كانت هذه الكلمات التى جاءت بلا موعد، إلى جانب كلمات زوجتى، مخرجةً لى من ذلک الاضطراب والقلق.

فوَدّع أبو خالد وخرج.

***

عُدت إلى فراشى لأنام مطمئناً تلک الليلة، وكنت افكّر: لماذا جرت لى كلّ هذه الامور:

هل يريد الله أن يمتحن إيمانى وقلبى، فيجدنى مؤمناً صابراً، أنجح فى الامتحان؟.

أو هل كنت على خطأ فضيع فى عقيدتى والتزاماتى السابقة، يريد الله أن يهدينى، فهيّأ لى هذه الأجواء؟.

وما دامت الامور قد تهيّأت إلى هذا القدر، فلماذا لا أدخل بشجاعة وأستفيد: إمّا أن أهدى ذلک الرجل.

أو أن أهتدى من ضلالة كنتُ عليها طول العمر؟

ص: ٢٩

والأمر لا يحتاج إلى أكثر من لقاء وحديث.

فصمّمت على أن ألتقى بالرجل.

فذهبت مع زوجتى التى كانت تحثّنى على ذلك، إلى بيت أبى خالد، وأخذناه معنا إلى بيت الرجل الشيعى.

***

لمّا عَلِمَ الرجل الشيعى بِمجيئنا إليه، أسرع إلينا بالعناق، وخصّنى دون صاحبى بالاستقبال الحارّ، وأخذ بيدى إلى الداخل.

فتعجّبت من خُلُقه السامى، ومن حلمه وكرمه.

إنّه لم يظهر منه ما يُوحى إساءتى له يوم العيـد، وكأنّى لستُ ذلك الذى لم أردّ عليه التحية، والذى واجهته بكلّ برود، ولم أتكلّم معه بكلمة واحدة.

وهاهو اليوم كان أكثر حديثه معى، وكان أكثر نظره إلىّ، ولم يترك يدى منذ صافحته إلى أن أجلسنى فى بيته.

ص: ۳۰

وهكـذا كان رسول الله (صـلى الله عليه وسـلم) إذا صافح أحداً لم يفكّ يده، حتّى يكون الآخر هو الذى يتركه. وكان (صـلى الله عليه وسلم) إذا كلّم أحداً أقبل عليه بوجهه.

هذه أخلاق نبويّة كريمة، أجدها عند هذا الرجل الشيعىّ، وقد فقدتُها أنا الذى أدّعى أنّى سنّىٌّ سلفىٌّ!.

ودار الحديث شجوناً، حتّى بدأ أبو خالد جارى السنّى القول:

ياأخ عبدالحسين!.

فقاطعته: عبد (ربّ) الحسين.

فضحك صاحب الدار ضحكةً عاليةً! وقال:

- دكتور محمّد، كلّنا عباد الربّ سبحانه وتعالى، والجميع عباد الرحمن، وعباد الله. ونشكر الله على معرفته، وعلى توفيقنا لعبادته.

ولكنّ الأسماء على ما وضعتْ، وقد وضعها آباؤنا

ص: ٣١

المسلمون الموحّدون لله، ولا يقصدون من كلمة (عبد) معنى العبادة الخاصة بالله تعالى، وإنّما (العبدُ) هنا بمعنى الخادم والرقّ، ولمّا تضاف إلى الأشخاص الذين نحترمهم تعني نوعاً من إظهار الحبّ والولاء لهم.

و (الحسين) هو سبط رسول الله ابن بنته، ونحن نعبّر عن حبّنا له بهذه الكلمة، حيث نعتبر أنفسنا خدماً صغاراً له ولأهدافه. وحاشا أحداً من المسلمين أن يتصوّر أو يفكّر أن يعبد أحداً غيرالله.

فهناك فرق بين العبادة والعبوديّة مثل الفرق بين كلمة «عابد» وكلمة «عبد/ خادم». وهذا المعنى في القرآن، قال الله سبحانه: والصالحين من عبادكم وإمائكم.

ثمّ إنّ الأعمال والكلمات والجمل بالنيّات والمقاصد، ونحن نسمّي (عبدالحسين) بمعنى خادم الحسين.

ص: ۳۲

ولسنا نتصوّر ما هو على بالك من قصد العبادة لغير الله.

وليس لك أن تحاسبنا على ما فى نيّتك أنت.

تكلّم كلّ هذا بهدوء، وبابتسامة لطيفة، يتخلّل كلامه تقديم الحلويات والفواكه. ممّا أضفى على الجوّ روعةً وصفاءً خاصّاً.

ولمّا انتهى من كلامه، أشار إلى الجار السنّى أبى خالد أن يستمرّ فى حديثه، فقال أبوخالد:

- أخ عبدالحسين، إنّ الدكتور محمّداً، يحبّك ويحترمك، لأنّك جارنا منذ القديم.

قاطعنا عبدالحسين: وأنا احبّكم جميعاً لذلك، واحبّ الدكتور، لأنّه زميلى فى الدراسة، ولأنّه دكتور فاضل، يقوم بخدمة الشعب، وبخدمة أهل الحارة، نفتخر به حفظه الله ورعاه.

واستمرّ أبو خالد: ولكنّه يحبّ أن يعرف منك ما

ص: ۳۳

قلتَه تلك الليلة العجيبة حول الحكومة، ولماذا تهجّمت على الحاكم والامراء؟ مع أنّ فعل الأمريكان لم يرتبط بالأمير، ولا يرضى به؟.

قال عبدالحسين: الحمد لله، إنّكم تعرفونى، أنّى لستُ سياسيّاً، ولا اريد التدخّل فى امور الدولة، وإنّى احبّ الوطن وسلامته وسلامة المواطنين.

ولكن القضية فى تلك الليلة كما تعلمون وشاهدتم ورأيتم، أمرٌ مخزٍ وخطير، ناسٌ أجانب، كفّار، يخرجون فى بلادنا بهذا الشكل (عراة) وسكارى يعربدون ويزعجون الناس، وليس هناك ما يمنعهم أو من يردعهم!

لو أنّ مواطناً مسلماً قام بهذا العمل، لحاسبته الدولة وعاقبته، وحقّ لها ذلك.

لكنّ هؤلاء لايحاسَبون! لماذا؟

أليس لأنّ الدولة هى التى وافقت على حضورهم هنا؟.

ص: ۳۴

وحتى لو كان حضورهم لمصلحة الوطن، لكنّ هـذه الأعمال التى يقوم بها هؤلاء، هى أعمال ضدّ الكرامة الوطنيّة، وضدّ أعراف البلد وأهله، وضدّ ديننا وشريعتنا.

وأنـا مـا قمت بمـا فعلت تلـك الليلـة ومـا قلت، إلّا حسب أوامر الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا فرق فى هـذا الواجب بين حاكم ورعية.

انتهى عبدالحسين من الكلام، وسكت.

وهنا، تذكّرتُ ما امتلأت به ذاكرتى من نصوص آيات وأحاديث طاعة الامراء، فقلت: أخ عبد الحسين.

- فضحك الجميع، وضحكتُ أنا معهم، لأنّ هذه أوّل مرّة تجرى على لسانى (عبدالحسين) بعد ما عرفت صحّة معنى هذا الإسم!.

قلتُ: إنّنا كمسلمين يجب علينا اتّباع أوامر الله تعالى

ص: ۳۵

وأوامر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وسيرة السلف الصالح.

وقـد أمرنـا الله بوجوب طاعـة اولى الأـمر، كمـا أمرنـا بطاعـة نفسه، وبطاعـة رسوله، فقال: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْامْرِ مِنْكُمْ وهناك أحاديث نبويّـة صـحيحة، وأقوال السـلف الصالـح فى وجوب طاعـة الحكّام والامراء فى الحكومات الإسـلاميّة المتعاقبة، وهذه الحجج هى المعتمدة لدى المسلمين، من خالفها خرج عن جماعتهم وشذّ، ومن شذّ فهو فى النار.

فاعتدل عبدالحسين جالساً، وقال:

إسـمع أيّها الـدكتور الفاضل، هداك الله إلى الحقّ، إنّى لستُ عالماً ولاحافظاً للحديث، ولااريد أن أتطفّل على شـىء، لكنّى أفهم من الآية التى قرأتها: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْامْرِ مِنْكُمْ أنّ الآية تفيد أن يكون اولو الأمر واجبى الطاعة هم من أصحابه وأهله،

ص: ۳۶

كما جاء فى الأحاديث الصحيحة الكثيرة: «لاتنازعوا الأمر أهله» فأهل الأمر هم الذين يستحقّونه ويملكونه عن أهليّة وجدارة.

وكلّ عاقل يعلم أنّ الأهليّة لإمرة المسلمين وحكمهم لايكون للجاهل بأحكام الإسلام، ولا الذى لايُبالى بمصالحهم، ولا الذى يوالى أعداء الدين والإسلام فى سبيل بقائه على الكرسى والحكم.

ثمّ الآية تقول: أُوْلِى الْامْرِ مِنْكُمْ والخطاب للذين آمنوا، ومن المعلوم أنّ الوالى إذا والى أعداء الله فهو ليس من المؤمنين، وقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): «من غشّنا فليس منّا» والغشّ فى الحكم والحكومة والدولة لهو من أكبر الغشّ وأعظمه، لأنّ الحكم لايقابل بثمن ولايقدّر بمال وعوض.

فكيف يكون «منكم» أيّها المسلمون المؤمنون من يسلّم البلاد إلى الأجانب يسرحون فيه ويمرحون، وعلى

ص: ۳۷

العباد والثروات يعتدون!

عفواً يادكتور، ومع أنّي - كما قلت لك - لا أملك من العلم ما أتمكّن من الـدخول فى البحث معك - ولكنّ القـدر قـد هيّأ لك كتاباً فى الموضوع كتبه أحـد البـاحثين من علماءنـا بعنوان «الأـميريون!؟» قـد استقصـى فيه جميع الأدلّـة والحجـج الـتى تعتمـدها دليلًا على «وجوب طاعة الامراء» فاعتبره هديةً منّى إليك عسى أن تجد فيه ما يفيدك.

وقام إلى المنضـدة، وجاء بظرف فيه الكتاب، وعلى غلاف الظرف تاريـخ البريـد الموافق لتاريـخ هـذا اليوم الذى زرناه، ممّا يدلّ على صدقه تماماً.

وأضاف عبدالحسين: إنّنى لم اطالعه كلّه، ولكنّى اوثرك به على نفسى، وساطالعه بعدُ.

***

كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة ليلًا، أخذتُ

ص: ۳۸

الكتاب، وخرجنا، وأنا مغمورٌ بالإعجاب بالرجل الذى يدّعى أنّه لايعرف من العلم شيئاً، ولكنّه يستفيد من القرآن تلك الفائدة العلمية العميقة.

بينما نحن السلفية نفهم الآية على ظاهرها من دون تعمّق فى مدلولها وأهدافها، وحتّى مفاد قيودها وألفاظها.

فكلّ من حكم هو عندنا من «اولى الأمر» حتّى لو لم يكن له أدنى أهليّة بالإدارة، أو معرفة بالدين،

وهؤلاء حكّامنا إمّا متغلّب بثورة عسكرية، أو مستخلف بوراثة عشائرية.

ومَن منهم درس الدين وعرفه؟

بل لم نجد فيهم من يتمكّن من اللغة العربية بجودة، ولا يقدر على إلقاء خطاب صحيح بالعربية.

فمن أين أصبح أمثال هؤلاء أصحاب الأمر، حتّى تجب طاعتهم؟

ص: ۳۹

إنّ هذا المعنى لم يخطر على بالى، قَطُّ قبل أن أسمعه من هذا الرجل.

وذهبتُ إلى سرير النوم، لكنّ عينى‌لم تطاوعنى، وبقيت فى الفراش، أضرب الأخماس فى الأسداس:

هل هذا من وساوس الشيطان الخنّاس؟ الذى يريدنى أن أترك ما عليه السلف الصالح من الدين الذى وجدنا آباءنا عليه؟

هل يمكن أن تكون الجماعة على خطأ عظيم؛ كهذا، وتكون الامّة طوال القرون على خطأ وضلال؟

وقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): «لا تجتمع امّتى على ضلالة»؟

ولكن ماذا عمّا جرى ويجرى حولنا، ونَراه بامّ أعيننا فى شرق البلاد الإسلاميّة وغربها، وفى عقر دارنا؟ من بطش الحكّام وخيانتهم، وعمالتهم، وتعاونهم مع الكفّار، وتقاعسهم عن صدّ عدوان اليهود، وفسحهم

ص: ۴۰

المجال للنصاری للدخول إلی الأرض المقدّسة وتدنیسها؟.

وما تلک الحادثة، تلک اللیلة، إلّا جزء صغیر من الفضائح التی تجری فی البلاد لیل نهار علی أیدی الأمریکان الکفّار.

وأمّا المظالم التی یجریها الحکّام علی المؤمنین من القتل والسجن والتعذیب والمطاردة ومصادرة الأموال، فلا یمکن إخفاءه حتّی عن العمیان!

فکیف عمّن له عینٌ تبصر، واذن تسمع، وفؤاد یدرک؟!.

وهکذا کانت الأفکار والأسئلة والاحتمالات، تتوالی علی صفحة ذهنی، حتّی فوجئت بأنّ الصبح قد انبثق، فخرجت إلی العمل وأنا منهکٌ، متوتّر الأعصاب.

وذکرت وأنا راجع إلی البیت کتاب «الأمیریون!؟»

ص: ۴۱

فهرعتُ إليه قبل كلّ شيء وبدأتُ أتصفّحه.

فوجدت مؤلّفه قد استوعب المشكلة من جذورها، وتتبع أدلّة من يقول بطاعة الامراء، وتفسيرات علماء السلفيّة، حرفاً بحرف، وكلمة بكلمة، وجملة بجملة.

تأخّرتُ عن الغداء، ولم أذق غير الشاى، الذى كانت تسعفنى به زوجتى، وانهمكتُ فى المطالعة.

فالكتابُ يخاطبنى ويغذّينى بما تحتاجه نفسى وما يريده عقلى، بكلّ هدوء، وقد جاءَ موثّقاً بالمصادر الإسلاميّة القيّمة وأهمّها الصحاح عندنا أهل السنّة، يُقارن بينها ويضع النتائج الواضحة أمامى.

أخرجنى ما فيه من عالم الوهم والظلمات والجدل العقيم، إلى عالم الحقائق الناصعة، والآفاق البعيدة، والمعانى الدقيقة، وبدأ بالعناوين التالية:

إنّ الرسول الأمين (صلى الله عليه وسلم) لم يقصّر فى تعريف الامّة بالحق الذى يرتبط بالخلفاء والحكّام

ص: ۴۲

والامراء الذين سيأتون من بعده.

وأنذر الرسول المنذر (صلى الله عليه وسلم) امّته عن سيطرة «الأحداث» وإمارتهم، وأخبر عن هلاك امّته على أيديهم.

وأظهر تخوّفه (صلى الله عليه وسلم) من الأئمّة المضلّين!.

وبالرغم من أنّه أمر بالسمع والطاعة للحكّام، لأنّ ذلك أمرلا بدّ منه لسير الحياة الاجتماعية، إلّا أنّه لم يوجب ذلك بإطلاقه بل قيّده فقال (صلى الله عليه وسلم):

«لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وإنّما الطاعة فى المعروف».

وقال (صلى الله عليه وسلم):

«على المرء المسلم السمع والطاعة إلّا أن يؤمر بمعصية، فإذا امر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة».

وسأل معاذ بن جبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

ص: ۴۳

أرأیت إن کان علینا الامراء لا یستنّون بسنّتک ولا یأخذون بأمرک، فما تأمرنی أن أفعل؟

فقال (صلی الله علیه وسلم):

«لا طاعهٔ لمن لم یطع الله».

وقال (صلی الله علیه وسلم):)

ألا من ولّی علیکم فرآه یأتی شیئاً من معصیهٔ الله فلینکر ما یأتی به من معصیهٔ الله، ولا ینزعنّ یداً من طاعهٔ الله عزّوجلّ»

. وهکذا سرد أحادیث النبی (صلی الله علیه وسلم) وأقواله وتوجیهاته ونصائحه للُامّهٔ.

ومع هذه الرأفهٔ والحنان والرعایهٔ التامّهٔ التی کانت عند الرسول (صلی الله علیه وسلم) تجاه الامّهٔ، فهل من المعقول أو من المتصوّر، أو من المتوقّع أن یهمل أمراً مهمّاً مثل شؤون الامراء والخلفاء من بعده؟

ولا یوضّح لُامّته کیف یکون الامراء؟

وکیف یجب علی الامّهٔ أن یتعاملوا معهم؟

ص: ۴۴

وما هى حقوق الراعى والرعيّة؟.

كلّا، وألف كلّا؟

بل إنّ الرسول الأمين الصادق المنذر الهادى، قد حدّد كلّ ذلك، وأرشد الامّة فى نصوص صريحة صحيحة واضحة:

أنّ طاعة الامراء ليست مطلقة؛ بل هى محدودة بحدّ طاعة الله تعالى، ولو عصى الأمير أوامر الله، فلا طاعة للأمير فى معصية الله.

فهل بعد رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحكمه هناك رأىٌ مقبولٌ لأحد من الناس؟.

ثمّ أورد فى الكتاب مواقف الصحابة الكرام من الامراء:

مثل موقف عبادة بن الصامت من معاوية، فى الشام، وكيف كان يمزّق قِرَبَ الخمر المحمول لمعاوية.

فشكاه معاوية إلى أبى هريرة، فقال أبو هريرة

ص: ۴۵

لعبادة: ياعبادة، ما لك ولمعاوية، ذرْهُ؟ وما حمل!.

فقال عبادة: لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وألّا تأخذنا فى الله لومة لائم؟!

فسكت أبو هريرة.

وشكا معاوية إلى عثمان: إنّ عبادة بن الصامت قد أفسد عليَّ الشام وأهله.

فرحّله إلى المدينة، فقال له: ما لنا؟ ولك؟

فقام عبادة بين ظهرانيّ الناس، فقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: سيلى اموركم بعدى رجال يعرّفونكم ما تنكرون؟ وينكرون عليكم ما تعرفون؟

فلا طاعة لمن عصى، ولا تضارّوا ربّكم.

هكذا أمر رسول الله أصحابه وأمته، وهكذا أرشدهم.

ص: ۴۶

وهكذا عمل الصحابة امتثالا لأوامر الرسول (صلى‌الله عليه وسلم) وإرشاداته.

وهل أحدٌ أهدى من الصحابة الكرام، وأعرف بمراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الذين خاطبهم؟

ثمّ مواقف أهل البيت (رضى الله عنهم) الذين تعلّموا الدين من النبىّ (صلى الله عليه وسلم) مباشرة وفى بيته،

فهذا الحسين سبط الرسول (صلى الله عليه وسلم) روى عن جدّه أنه قال: «من رأى سلطاناً جائراً، مستحلًا لمحارم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسوله، يعمل فى عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا بقول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله».

وهكذا، وبهذه الصراحة، نقل أهل البيت (رضى الله عنهم) الموقف الصحيح تجاه الولاة الظلمة.

ص: ۴۷

وهذا هو الذى فهمه التابعون من الدين،

فلمّا قال ابن الخليفة عبدالملك بن مروان، لأبى حازم: ألستم أمرتم بطاعتنا بقوله: أُوْلِى الْامْرِ مِنْكُمْ؟.

فأجابه أبو حازم: أليس قد نزعت الطاعة عنكم إذا خالفتم الحقّ بقوله: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْء فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ.

وإذا كانت إرشادات الرسول هكذا تحدّد الموقف من الامراء، وترفع الطاعة عند عصيانهم لله، فهى أولى بالاتّباع، لأنّ خير الهدى هدى محمّد.

وهكذا فهم الصحابة الكرام وأهل البيت الأعلام، والتابعون لهم بإحسان.

فلماذا؟ وما الحاجة؟ إلى أن نتّبع رأى غيرهم ممّن جاءوا بعده وسمّوا أنفسهم «الفقهاء».

وقد أجمع المسلمون أنّه لا رأى لأحد، بعد قول

ص: ۴۸

الرسول (صلى الله عليه وسلم).

ووقفتُ هنا، لأتأمّل وضعى وموقفى وحالتى فقلتُ- وأنا احدّث نفسى-:

إذا كنتُ من أهل السنّة، فلابدّ أن يكون اتّباعى للرسول وأوامره ونواهيه، وتفسير الصحابة لكلام الرسول، وكذلك أهل البيت.

إذن فما هى قيمة آراء الآخرين المعارضة والمتنافية مع نصوص أحاديث النبىّ (صلى الله عليه وسلم).

أحدث هذا الذى قرأته فى الكتاب زلزالًا فى نفسى، ورحتُ أتساءلُ:

لماذا لم يقرء المشايخ- أبى وغيره- هذه الأحاديث؟.

ولماذا لم أرها أنا فى ما تلوتُ وقرأتُ وطالعتُ من كتب؟.

وهل أنا قد قرأتُها، ولكنّى لم أفهمها؟ لأنّ عقلى كان محجوزاً ومملوءاً بآراء الآخرين؟

ص: ۴۹

أو أنّ النظارات التی وضعها الآخرون علی عینی وعقلی، وصبغوها بصبغة غیر صبغة الله؟ هی التی جعلتنی أری شیئاً آخر؟.

وماذا عن الأحادیث التی حفظتُها علی خاطری عن السمع والطاعة المطلقة للحکّام والأمراء؟ وهی التی یستدلّ بها السلفیّة فی محافلهم وکتبهم؟

هل ترکها هذا الکاتب، کما ترکنا نحن تلک الروایات النبویّة الصریحة فی عدم الطاعة إذا عصی الحاکم؟!.

کنت افکّر فی أجوبة لهذه الأسئلة؟

وعُدت إلی الکتاب: لأجد أمامی جمیع ما حفظتُ من الأحادیث، مفسّرةً مشروحةً، معروضةً عرضاً جمیلًا، مع شواهد واضحة علی دلالاتها أو ما یفید القارئ منها.

ولم یفلت من الکاتب ما قاله علماء السلفیّة فی

ص: ۵۰

الموضوع، وما احتجّ به كبارهم على عقيدتهم: مثل ابن تيمية، وابن القيّم، وابن حزم، والشوكاني.

وأخيراً أورد الكاتب نماذج من أقوالهم التى خالفوا بها نصوص الكتاب والسنّة، أو أساءوا فهمها، أو حرّفوها وفسّروها بما يغاير مراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذلك الذى فهمه أهل البيت الكرام والصحابة رضوان الله عليهم، أورد الجميع بكلّ موضوعيّة وهدوء.

وأهمّ ما فى الكتاب تلك النماذج الموحشة من الامراء والسلاطين الذين تولّوا حكم البلاد الإسلاميّة فى أدوار عصيبة من تاريخ الإسلام، فعاثوا فى الأرض فساداً، وقتلوا الأبرياء والصلحاء، وأهلكوا الحرث والنسل، وفعلوا المنكرات وأمروا بها، ونهوا عن المعروف، ومنعوا العلم وهو الحديث الشريف وأحرقوا كتبه وحبسوا رواته:

ص: ۵۱

كمروان بن الحكم،

والوليد بن عقبة،

والحجّاج الثقفى،

وأمثالهم ممّن سوّدوا وجه التاريخ الإسلامى، وألحقوا به خسارة لا تعوّض.

وإلى عصرنا الحاضر الذى جرّت فيه فكرة الأميرية على الامّة الويلات والمصائب، التى أخيرها- وليس آخرها- إدخال الكفّار الأمريكان إلى الأرض الإسلاميّة المقدّسة، وتدنيس بلادنا الطاهرة بأرجلهم.

وما رأينا تلك الليلة ليس إلّا قصّةً من قصصهم، ودوراً من أدوار مسرحيتهم الطويلة العريضة.

ومضيتُ أقرأ:

ومع كلّ فقرة وصفحة أشعر أنّى أنزعُ من بدنى ثوباً من الوهم، وأزيحُ عن جسمى ثقلًا من الخيال الباطل، وأقلعُ من عقلى وقلبى شبهةً سوداء.

ص: ۵۲

ولمّا انتهيتُ من الكتاب، وجدتُ نفسى خفيفاً حرّاً طليقاً، كأنّما أطير بجناحين من نور ومعرفة، وأجد فى نفسى نور الحقّ قد داخلنى، وأزاح عنّى كلّ الظلمات المتراكمة علىّ طوال السنين.

لقد استطاع عبدالحسين أنْ ينتصر لمّا تخلّى عن مناقشتى، وتركنى مع الكتاب الحاوى لأطيب الخطاب، كلام الرسول الصادق الأمين، حبيب القلوب وطبيب النفوس، سيّدنا محمّد (صلى الله عليه وسلم).

وتركنى مع معلّمى الخير والهدى: الصحابة الكرام وأهل البيت رضى الله عنهم، يعلّمونى معنى ما قاله الرسول (صلى الله عليه وسلم) بكلّ دقّة، ويوضحون تطبيق كلامه حرفيّاً.

انكشفت لى الحقيقة جليّةً نيّرةً:

فقمتُ لصلاة الصبح وشكرتُ الله على هذا الفتح الذى فتح قلبى عليه، فأخرجنى من ظلمات الأميريّة

ص: ۵۳

العمياء إلى أنوار الحقّ واليقين، ببركة سيّد المرسلين وصحابته وآله الكرام.

ووا أسفى على السنينَ العجاف التى قضيتها فى تلك الظلمات.

ووا حزنى على أهلى وأقربائى وأصدقائى الذين لا يزالون يخبطون خبط عشواء فى تلك الظلمات.

لماذا نقفل على أنفسنا أبواب النور، وننوح على الظلمة؟

ولماذا لانقرأ، ولا نتّصل ولا نتحاور مع الآخرين كى نجد نوافذ النور والحقّ واليقين.

لماذا نعتقد أنّ ما نقوله هو الحقّ الذى لا محيص عنه، ونحن لم نطّلع على ما يقوله الآخرون؟ فندور فى حلقات مفرغة،

ولا نسمح لآذاننا أن تسمع،

ولا لأعيننا أن ترى،

ص: ۵۴

ولا لقلوبنا أن تفقه!.

كـانت زوجتى قريبـةً منّى، لكنّهـا لاـ تتـدخّل فى أمرى، ولاـ تسـألنى شـيئاً عن مطالعتى وقراءتى، لكنّها تراقبُ تصـرّفاتى وانفعالى، وما ينعكسُ على أسارير وجهى من فرح ونشاط وسرور.

ولمّا جلسنا صباحاً على مائدة الفطور، خاطبتها:

هل تعلمين أنّى وجدتُ أمس كنزاً طالما أخفاهُ عنّى جميعُ من حولى من الأقارب والمشايخ، ولم يُطلعونى عليه؟.

قالت: خيراً، إن شاء الله، ما هو؟ هل رأيت حُلُماً طيّباً؟.

قلتُ لها: كلّا، بل فى اليقظة طوال الليل، وجدتُ ذلك الكنز فى هذا الكتاب، الذى أهدانيه عبدالحسين جارنا الشيعىّ!.

قالت متعجّبة: كيف؟ وأين؟.

ص: ۵۵

قلتُ: إنّه يحتوى على الحقيقة الواضحة، المكشوفة، من لسان أطيب الخلق وأهداهم وأعلمهم، رسول ربّ العالمين سيّدنا محمّد الأمين (صلى الله عليه وسلم).

الحقيقة التى أعلنها الرسول والصحابة الأبطال وأهل البيت ااالكرام،

وقـد كُنّا فى غفلـة عن هـذا! لأنّنا كنّا نقلّـد الآباء والـذين وجـدناهم على امّـة ودين ونحن على آثارهم نهرعُ ولـدينهم نتبعُ، فقط لأنّهم الأوّلون، لأنّهم من خير القرون، لأنّهم سلف.

وتركنا ما جاء من الهدى والنور واليقين على لسان سيّد المرسلين وأصحابه وأهل بيته الكرام؟!

كم يكون أسفنا كبيراً على تلك الخسارة التى أصابتنا فى سالف عمرنا مع ذلك السلف.

ولكن نحمد الله على هذه النعمة التى جاءتنا على يد هذا العبد الصالح عبدالحسين، فلابدّ أن نزوره ونشكره.

ص: ۵۶

قالت: نعم، والحمد لله كثيراً على هدايته لدينه والتوفيق لهذه المعرفة المحمّدية.

وأضافت: فإذا عزمتَ الذهاب إليه، فلابدّ أن نأخذ له هديّةً، فإنّك قد عاملته طوال عمرك بقساوة، ولكنّه أهدى إليك هذا الكنز، أفلا يستحقّ أن تقدّم له هديّةً مناسبةً؟!

وافقتُ على فكرة الهديّة، لكن لنفكّر أنا وزوجتى ما هو الشىء اللائق لنأخذه إليه.

وخرجتُ إلى العمل، ولمّا رجعتُ، استقبلتنى زوجتى بفرح شديد.

قالت: لقد وجدتُ أفضل هديّة لجارنا عبد الحسين.

قلتُ: ما هى؟.

قالت: إمارة السفهاء؟.

قلتُ: وما إمارة السفهاء؟.

ص: ۵۷

قالت: عجيب، أما قرأتَ الكتاب ليلةَ أمس؟.

قلتُ: نعم، قد قرأتُه!.

قالت: فكيف؟ أما رأيتَ فيه حديث إمارة السفهاء؟.

قلتُ: لا أذكر، هات الكتاب لأرى.

فجاءت بالكتاب، وبدأت تقرأ: عن جابر بن عبدالله:

أنّ النبيّ (صلى الله عليه وسلم) قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله- ياكعبُ بن عجرة- من إمارة السفهاء؟».

قال: وما إمارة السفهاء؟.

قال (صلى الله عليه وسلم): «امراءٌ يكونون بعدى، لا يهدون بهَدْيِى، ولا يستنّون بسُنّتى، فمن صدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فاولئك ليسوا منّى ولستُ منهم، ولايردون علىَّ حوضى.

ص: ۵۸

ومَن لم يصدّقهم على كذبهم، ولم يُعنهم على ظلمهم، فاولئك منّى وأنا منهم، وسيردون علىَّ حوضى.

يا كعب، إنّه لايدخل الجنّة لحمٌ نَبَتَ من سُحْت أبداً، النارُ أولىبه»

قلت لزوجتى: وأىّ شىء فى هذا الحديث يخصّصه لأن يكون هديّةً غاليةً لعبدالحسين، مع أنّ الكتاب كلّه يحتوى على أحاديث أصرح من هذا وأقوى من هذا.

قالت: ألم تنتبه، إنّ الحديث يحتوى على قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الامراء: «فاولئك ليسوا منّى ولستُ منهم»؟.

قلت: ثُمَّ ماذا؟.

قالت: أوه، ألم تذكر أنّ عبد الحسين، فى تلك الليلة التى زرناه فيها، أجاب عن استدلالك بآية أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِى الْامْرِ مِنْكُم فقال

ص: ۵۹

: إنّ كلمة «منكم» تدلّ على أنّ الأمير والوالى يجب أن يكون من المؤمنين أنفسهم، وإذا خان وفسد، فليس منهم، فلا يدخل فى أُوْلِى الْامْرِ مِنْكُمْ الذين يجب طاعتهم، وتمسّك بحديث: «من غشّنا فليس منّا»؟.

قلتُ: نعم، صحيح.

قالت: وهذا الحديث صريح فى أنّ الامراء الفاسدين ليسوا من الرسول، وإذا لم يكونوا من الرسول فليسوا من المؤمنين، لأنّ الرسول سيّد المؤمنين.

قلت: نعم، لكن الحديث يقول: «فمن صدّقهم ... وأعانهم، فاولئك ليسوا منّى».

قالت: نعم، لكن إذا كان المصدّقون والمعينون ليسوا من الرسول، فاولئك الامراء ليسوا منه بالأولى والأقوى والأوضح.

وإذا لم يكونوا من الرسول ولا الرسول منهم، فهم ليسوا من المؤمنين ولا المسلمين.

ص: ۶۰

قلتُ: بارك الله فيك، فلنذهب بهذه الهديّة إلى عبد الحسين، فإنّها تحفةٌ ثمينة.

وذهبنا- وأخذنا معنا أبا خالد- إلى بيت عبد الحسين، ودخلنا عليه بوجوه مستبشرة. وعَرّفناه ما توصّلنا إليه، فخرّ ساجداً لله.

وبدأنا الحديث وقلنا له: جئناك بهديّة سنيّة وشرحنا له الأمر.

فاستبشر، لكنّه أضاف: إنّ هديّتى قد أخذتُها من الله ورسوله؟.

فتعجّبنا لكلامه، فاستمرّ شارحاً:

إنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) لرأفته بالأمّة التى تحمّل فى سبيل هدايتها ما تحمّل، قد قال: «لأن يهدى الله بك رجلا خيرٌ لك من حمر النعم» أو «خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت».

إنّ هذاالخير الموعودمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)

ص: ۶۱

هو أفضل هديّة، لأنّها ذخيرة لآخرتى يَوْمَ لَايَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْب سَلِيم (الشعراء: ۲۶/ ۸۸- ۸۹).

وفرحى وسرورى بخروجكم من ظلمات الوهم الذى يخبط فيه السلفيّة، إلى ساحات النور والحبور والسرور، عظيم جدّاً.

والله، إنّى ليعزّ علىّ أن أرى جيرانى الطيّبين فى محنة، ولا أتمكّن من عونهم.

وأيّة محنة أكبر من محنة الضلال؟

وأيّة محنة أهمّ علينا ممّا ابتلينا به اليوم من الاحتلال، احتلال بلادنا الإسلاميّة بأيدى الغزاة الجناة اليهود الإسرائيليّين والنصارى الأمريكان!.

ومن كلامه هذا تذكّرت ما قاله كاتب الكتاب عن هذه المأساة، حيث قال:

وهكذا جرت السلفيّة على تلك السيرة الباطلة،

ص: ۶۲

طيلة القرون حتّى عصرنا الحاضر:

فسوّدوا وجه التاريخ الإسلامىّ بتسليطهم على العباد والبلاد للجهلة من الامراء والخلفاء والسلاطين، الفارغين عن كلّ علم بالدين والإدارة والعدل والنظام، والمنهمكين بالمفاسد والملاهى وسفك الدماء وقتل الأبرياء وتبذير الأموال.

على السواء فى ذلك الدول المتوالية باسم الخلافة آل اميّة وبنو العبّاس، والعثمانيّون.

وسواء فى ذلك من مَلَكَ أو من صار رئيساً، أو أميراً، من العرب والأتراك والفرس والأقباط.

سوى قلّة ممّن حكم فى أدوار قصيرة ومتقطّعة، وفى أصقاع وإمارات، ومع ذلك فقد اثيرت فى وجوه هذه القلّة البلايا والفتن.

وأمّا الطغاة والظلمة فلم تواجههم السلفيّة إلّا بالسمع والطاعة.

ص: ۶۳

وقد أدّى كلّ ذلك إلى اسوداد وجه التاريخ الإسلامى بالمظالم الشنيعة، وبالتخلّف والفساد والجهل، حتّى عصرنا الحاضر الذى يتحكّم فى بلاد المسلمين ثلّةٌ من الحكّام البعيدين عن كلّ معانى الخير، فلا معرفة بالدين، ولا أصالة فى حسب ونسب، ولا تدبير فى الامور، ولا إخلاص فى العمل للوطن والشعب.

بل لا نجد فيهم من يخلو عن خيانة وجناية إلى حدّ الخضوع للأجانب والانصياع لأوامرهم والسير على أهوائهم؛ حفاظاً على الكراسى.

مع اقتران ذلك بالضغط على الشعوب المسلمة بالسجن والقتل والإبادة والتشريد والطرد والتهجير،

كلّ هذا، والسلفيّة «لايَنْبِسُون بِبِنْتِ شفة» عملًا بما التزموه من السمع والطاعة للسلطان.

ومن المعلوم أنّ الاستمرار على هذه السيرة المشؤومة، أدّى بالمسلمين- و حتّى غيرهم!- إلى اليأس

ص: ۶۴

من الإسلام، وما يرتجون منه من عدل وسلام وأمان، وما يؤمّلونه فى ظلّ الحكومات باسم الإسلام من حياة حرّة كريمة.

ويكفى هذا أن يكون أدلّ دليل على بطلان ما يلتزمه السلفِيَّة من الأميريّة الممقوتة والباطلة.

كفى الله الإسلام والمسلمين شرّهم وردّ كيدهم إلى نحورهم.

ولا ينقشع هذا الجوّ الأسود إلّا بإقلاع روح الأميريّة من نفوس المسلمين وعقولهم.

وهو واجبٌ إسلامىّ وطنىّ وعقلىّ اجتماعى، على الوالدين ودوائر التربية والتعليم والمثقّفين الذين يحبّون شعوبهم وأوطانهم ويريدون السلام و الاستقلال والحريّة.

والحمد لله الذى بنعمتهِ تتمّ الصالحات

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحَار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"
تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)
رقم التسجیل: ۲۳۷۳
الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com
الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)
الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)
مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)
التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹
امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّـة الحالیّـة لهـذا المرکز، شـَعبیّـة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّـة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.